التواصـــــــــل

توطئة:

يذهب كثير من الدارسين إلى أن الدوال تدل وتتواصل بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ومنها: اللغة والعلامات والخطابات والأنساق و الإنسان وسائر الكائنات الموجودة في الطبيعة. ويعني هذا أن كل شيء في عالمنا يحمل دلالة ووظيفة. وهذه الوظيفة قد تكون ذات مقصدية أو بدون مقصدية، ذات ميزة فردية أو جماعية، طبيعتها مادية أو معنوية. كما أن هذه الدوال التواصلية قد تكون لفظية أو غير لفظية، تعبر عن وعي أو عن غير وعي. هذا، وأصبح التواصل اليوم عبارة عن تقنية إجرائية وأساسية في فهم التفاعلات البشرية، وتفسير النصوص والخبرات الإعلامية، والتحكم في كل طرائق الإرسال والتبادل. وتعد اللغة من أهم آليات التواصل ، و من أهم تقنيات التبليغ ونقل الخبرات والمعارف والتعليمات من الأنا إلى الغير أو من المرسل إلى المخاطب. وهذه اللغة على مستوى التخاطب والتواصل والتمظهر ذات مستويين سلوكيين: لفظي وغير لفظي.

إذا، ما هو مفهوم كل من التواصل اللفظي وغير اللفظي؟ وما هي أهم الآليات الإجرائية التي يستند إليها التواصل اللفظي وغير اللفظي؟

 مفهوم التواصل لغة واصطلاحا:

1- التـواصل لغــة:

يفيد التواصل في اللغة العربية الاقتران والاتصال والصلة والترابط والالتئام والجمع والإبلاغ والانتهاء والإعلام. أما كلمة communication في اللغة الأجنبية، فتعني إقامة علاقة وتراسل وترابط وإرسال وتبادل وإخبار وإعلام. و يعني هذا أن هناك تشابها في الدلالة والمعنى بين مفهوم التواصل العربي والتواصل الغربي.

2- التواصل اصـطلاحا:

يدل التواصل في الاصطلاح على عملية نقل الأفكار والتجارب، وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات. وقد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيا أو تواصلا غيريا. وقد ينبني على الموافقة أو على المعارضة والاختلاف. ويفترض التواصل أيضا – باعتباره نقلا وإعلاما- مرسلا ورسالة ومتقبلا وشفرة ، يتفق على تسنينها وتشفيرها كل من المتكلم والمستقبل (المستمع)، وسياقا مرجعيا ومقصدية الرسالة. ويعرف شارل كولي Charles Cooley التواصل قائلا:" التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور. إنه يتضمن كل رموز الذهن ، مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان. ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون، وكل ما يشمله آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان"

وهكذا، يتبين لنا عبر هذا التعريف أن التواصل هو جوهر العلاقات الإنسانية، ومحقق تطورها. لذا، فالتواصل له وظيفتان من خلال هذا التعريف: وظيفة معرفية، و تتمثل في نقل الرموز الذهنية ، وتبليغها زمكانيا بوسائل لغوية وغير لغوية، ووظيفة تأثيرية وجدانية، و تقوم على تمتين العلاقات الإنسانية، وتفعيلها على مستوى اللفظي وغير اللفظي.

وهناك من يعرف التواصل بأنه:" هو العملية التي بها يتفاعل المراسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة" . ومن المعلوم أن للتواصل ثلاث وظائف بارزة يمكن إجمالها في:

1- التبادل: Echange

2- التبليغ:Transfert

3- التأثير:Impact

ويعرف التواصل أيضا بأنه هو: " تبادل المعلومات والرسائل اللغوية وغير اللغوية،سواء أكان هذا التبادل قصديا أم غير قصدي، بين الأفراد والجماعات". وبالتالي، لا يقتصر التواصل على ماهو ذهني معرفي ، بل يتعداه إلى ماهو وجداني وماهو حسي حركي وآلي. أي إن التواصل:" ليس مجرد تبليغ المعلومات بطريقة خطية أحادية الاتجاه، ولكنه تبادل للأفكار والأحاسيس والرسائل التي قد تفهم، وقد لاتفهم بنفس الطريقة من طرف كل الأفراد المتواجدين في وضعية تواصلية".

ومن هنا، فالتواصل هو عبارة عن تفاعل بين مجموعة من الأفراد والجماعات يتم بينها تبادل المعارف الذهنية والمشاعر الوجدانية بطريقة لفظية وغير لفظية.

وتركز الصورة المجردة للتواصل على ثلاثة عوامل أساسية:

أ- الموضوع: وهو الإعلام والإخبار؛

ب- الآلية: التي تتمثل في التفاعلات اللفظية وغير اللفظية؛

ج- الغائية: أي الهدف من التواصل ومقصديته البارزة(البعد المعرفي أو الوجداني أو الحركي).

وهكذا، يمكن القول: إن الاتصال أو التواصل عبارة عن عملية نقل واستقبال للمعلومات بين طرفين أو أكثر. ويستند هذا التواصل في سياقاته إلى التغذية الراجعة Feed Back ، وذلك عندما يحدث سوء الاستقبال أو الاستيعاب أو التشويش أو الانحراف الانزياحي.

*** أنـــواع التواصل:**

يمكن الحديث عن أنواع عدة من التواصل الإنساني والآلي والسيميائي، فهناك التواصل البيولوجي والإعلامي والآلي والسيكولوجي والاجتماعي والسيميوطيقي والفلسفي والبيداغوجي والاقتصادي... ويقول طلعت منصور في هدا الصدد:" إن وظيفة الاتصال تتسع لتشمل آفاقا أبعد . فكثير من الباحثين يتناولون الاتصال كوظيفة للثقافة وكوظيفة للتعليم والتعلم وكوظيفة للجماعات الاجتماعية وكوظيفة للعلاقات بين المجتمعات، بل ويعتبرون الاتصال كوظيفة لنضج شخصية الفرد وغير ذلك من جوانب توظيف الاتصال"

ويرتبط التواصل بعدة علوم ومعارف يمكن حصرها في علم التدبير والتسيير، والعلاقات العامة، والبيداغوجيا والديداكتيك، وعلم التسويق Marketing، وعلوم الإعلام والاتصال، والفلسفة، والسيميولوجيا.

وسنختار من هذه الأنواع: التواصل اللساني، والتواصل الفلسفي ، والتواصل اللسيميائي للحديث عنها مرجئين باقي الأنواع التواصلية الأخرى إلى فترات لاحقة إن شاء الله.

1- التواصل من المنظور اللساني:

يذهب مجموعة من اللسانيين إلى أن اللغة وظيفتها التواصل كفرديناند دو سوسير الذي يرى في كتابه " محاضرات في اللسانيات العامة" (1916) أن اللغة نسق من العلامات والإشارات ، هدفها التواصل خاصة أثناء اتحاد الدال مع المدلول بنيويا، أو تقاطع الصورة السمعية مع المفهوم الذهني. وهو نفس المفهوم الذي كان يرمي إليه تقريبا ابن جني في كتابه "الخصائص" عندما عرف اللغة بأنها: " أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم" .

ويعرف أندري مارتيني André Martinet اللغة بأنها عبارة عن تمفصل مزدوج وظيفتها التواصل. ويعني هذا أن اللغة يمكن تقسيمها إلى تمفصل أول وهو المونيمات(الكلمات)، وبدورها تنقسم إلى فونيمات(أصوات)، ومورفيمات(مقاطع صرفية) ، والتي تشكل بدورها التمفصل الثاني. لكن الأصوات لايمكن تقسيمها إلى وحدات أخرى؛ لأن الصوت مقطع لا يتجزأ. وإذا جمعنا الفونيمات مع بعضها البعض كونا مونيمات، وإذا جمعنا الكلمات كونا جملا، والجمل بدورها تكون الفقرات والمتواليات، والفقرات بدورها تكون النص، ويكون النص- تأليفا واستبدالا- ما يسمى باللغة ، والتي من أهدافها الأساسية التواصل.

ويذهب رومان جاكبسون إلى أن اللغة ذات بعد وظيفي، وأن لها ستة عناصر وست وظائف: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية، واللغة ووظيفتها وصفية. وهناك من يضيف الوظيفة السابعة ، وهي الوظيفة الأيقونية.

وإذا كان الوظيفيون يرون أن اللغة واضحة تؤدي وظيفة التواصل الشفاف بين المتكلم والمستمع،فإن أزوالد دوكرو Ducrot يرى خلاف ذلك أن اللغة ليست دائما لغة تواصل واضح وشفاف، بل هي لغة إضمار وغموض وإخفاء. ويعني هذا أن الفرد قد يوظف اللغة باعتبارها لعبة اجتماعية للتمويه والتخفية وإضمار النوايا والمقاصد. ويكون هذا الإضمار اللغوي ناتجا عن أسباب دينية واجتماعية ونفسية وسياسية وأخلاقية. فمهرب المخدرات قد لا يستعمل اسم مهرباته بطريقة مباشرة، بل يستعمل الرموز للإخفاء، كأن يقول لصديقه: هل وصلت الحناء إلى هولندا؟ كما أن أسلوب الأمر في الشريعة الإسلامية يستعمل للوجوب والدعاء والندب، وهذا يعني أن اللغة فيها أوجه دلالية عدة؛ مما يزيد من غموضها وعدم شفافيتها التواصلية.

وهكذا، نستنتج أن اللغة قد تكون أداة للتواصل الشفاف، كما يمكنها أن تكون لغة للإضمار والتمويه والإخفاء، كما يمكن أن تكون أداة للسلطة على حد سواء.

2- التواصل من المنظور الفلسفي:

طرح مفهوم الأنا والغير في الخطاب الفلسفي كثيرا من الإشكاليات التي تنصب كلها في كيفية التعامل مع الغير، وكيف يمكن للأنا النظر إلى الغير؟! يذهب الفيلسوف الألماني هيجل إلى أن العلاقة بين الأنا والغير هي علاقة سلبية قائمة على الصراع الجدلي، كما توضح ذلك نظريته المسماة بجدلية السيد والعبد. أما جان بول سارتر فيرى أن الغير ممر ووسيط ضروري للأنا ، إلا أن الغير جحيم لا يطاق؛ لأنه يشيء الذات أو الأنا. لهذا، يدعو سارتر إلى التعامل مع الغير بحذر وترقب وعدوان، وأنه يستحيل التعايش بين الأنا والغير أو التواصل بينهما ، مادام الغير يستلب حرية الأنا، ويجمد إرادته. لذلك، قال قولته المشهورة: " أنا والآخرون إلى الجحيم". بيد أن ميرلوبونتي رفض نظرية سارتر التجزيئية العقلانية، واعتبر أن العلاقة بين الأنا والغير إيجابية قائمة على الاحترام والتكامل والتعاون والتواصل، وأساس هذا التواصل هواللغة. أما ماكس شيلر فيرى أن العلاقة بين الأنا والغير قائمة على التعاطف الوجداني ، والمشاركة العاطفية الكلية مع الغير، ولا تقوم على التنافر أو البغض والكراهية. في حين يرى جيل دولوز أن العلاقة التواصلية بين الأنا والغير في المجال المعرفي البنيوي قائمة على التكامل الإدراكي.

3- التواصل من المنظور السيميائي:

تندرج تحت إطار سيميولوجيا التواصل أبحاث كل من بريطوPrieto ، وجورج مونان Mounin ، وبويسنس Buyssens ، ومارتينيه Martinet ، وغيرهم. وهؤلاء جميعا يتفقون على أن العلامة السوسيرية تتشكل من وحدة ثلاثية ، وهي: الدال والمدلول والقصد. وهم يركزون كثيرا في أعمالهم على الوظيفة التواصلية. ولاتختص هذه الوظيفة التواصلية بالرسالة اللسانية المنطوقة فحسب، بل توجد في أنظمة غير لسانية أخرى كالإعلانات والشعارات والخرائط واللافتات والمجلات والنصوص المكتوبة، وكل البيانات التي أنتجت لهدف التواصل. وتشكل كل الأنماط المذكورة علامات، ومضامينها رسائل أو مرسلات MESSAGES. وهكذا يقصي أنصار سيميولوجيا التواصل ذلك النوع من سيميولوجيا الدلالة التي تدرس البنيات التي تؤدي وظائف غير وظيفية كما لدى رولان بارت مثلا. ونستشف من خلال أبحاث ورؤى مؤسسي هذا الاتجاه أنهم يميلون إلى دراسة أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية. وبناء على ذلك، فإن أفضل تناول حسب بريطو هو القول: " إن ما يميز الوظيفة التواصلية عن الوظيفة الدلالية حصرا هو القصدية التي تتجلى في الأولى لا في الثانية". إن السيميولوجيا حسب بويسنس عليها" أن تهتم بالوقائع القابلة للإدراك، المرتبطة بحالات الوعي، والمصنوعة قصدا من أجل التعريف بحالات الوعي هذه. ومن أجل أن يتعرف الشاهد على وجهة التواصل في رأي بويسنس هو ما يكون موضوع السيميولوجيا".

*** أنمـــاط التواصـــل:**

ومن أنماط الاتصال الإنساني التواصل مع الذات ، والذي يكون عن طريق وعي الذات بوجودها وكينونتها، وتحقيق آنيتها الأنطولوجية ووعيها الداخلي بالعالم، والتواصل بين الفرد والآخرين؛ لأن إدراك الآخر يساعد الفرد على إدراك ذاته، والتواصل بين الجماعات الاجتماعية الذي يسعى إلى تنمية الروح التشاركية، و تفعيل المبدأ التعاوني، وتحقيق التعارف المثمر البناء. ومن الأنماط التواصلية الأخرى ، نذكر: التواصل البشري، والتواصل الحيواني ، والتواصل الآلي (السيبرينطيقا)، والتواصل الإعلامي (تكنولوجيا الاتصال بصفة عامة).

*** مفاهيم التواصل ومكوناته الأساسية:**

يشترط استحضار مجموعة من المفاهيم النظرية والعناصر الأساسية التطبيقية باعتبارها مكونات جوهرية في عملية التبادل والتفاعل والتأثير عند الحديث عن التواصل ، أو أثناء استعمال هذا المفهوم بمثابة مقاربة تحليلية، أو منهجية إجرائية في استقراء العلاقات التفاعلية، أو أثناء قراءة النصوص والخطابات، أو أثناء فهم الروابط الذهنية والوجدانية والحركية وتفسير أنسقتها التبادلية. وهذه العناصر هي:

1- زمنية التواصل temporalité؛

2- المكانية أو المحلية localisation؛

3- السنن أو لغة التواصل(التشفير والتفكيك)code؛

4- السياقcontexte؛

5- رهانات التواصلenjeux de communication ؛

6- التواصل اللفظي(اللغة المنطوقة) والتواصل غير اللفظي(اللغة الجسدية والسيميائية) communication verbale et non verbale؛

7- إرادة التواصل(بث الإرسالية قد تكون إرادية أو غير إرادية)volonté de communication؛

8- الفيدباك أو التغذية الراجعة، وذلك بتصحيح التواصل، وتقويته، وتدعيمه، وإنهائهfeedback ؛

9- شبكة التواصل.Réseau le.

10- التواصل الجماهيري: مثل: علم النفس وعلم الاجتماع والبيداغوجيا ومفعول الرواية البوليسية والأغنية؛

11- الخطابة La rhéthorique.

12- الجمالية: مثل علم النفس والإبداع الفني والعلاقات بين الأشكال الفنية والأشكال الطبيعية؛

استنتاج:

تلكم هي أهم الآليات التواصلية التي تتعلق بلسانيات التواصل اللفظي وغير اللفظي ، وهي أساسية في تفكيك الخطابات كيفما كانت، وتركيبها من جديد. ومن هنا، فالسيميائيات في حاجة ماسة إلى معرفة الأنظمة التواصلية، وتحديد شفراتها السننية، وإرساء مصطلحاتها الإجرائية والتطبيقية لفهم نظام التواصل وتفسيره، وتبيان طرائق الإرسال والتلقي، ورصد الوسائل والمدخلات والمخرجات التي يرتكن إليها التواصل اللفظي وغير اللفظي على حد سواء.

وإذا كانت اللسانيات مؤهلة لدراسة التواصل اللفظي كما يثبت ذلك فرديناند دوسوسير في كتابه:" محاضرات في اللسانيات العامة"، فإن السيميولوجيا أو السيميوطيقا مؤهلة أيضا لدراسة الأنظمة التواصلية غير اللفظية. بينما على

العكس يرى رولان بارت في كتابه:" عناصر السيميولوجيا" أن اللسانيات هي التي تملك القدرة بوحدها على رصد التواصل اللفظي وغير اللفظي.

مظاهر التواصـــــل:

أ- التواصل الوجداني: إن من بين وظائف التواصل التأثير على المتلقي سلبا أو إيجابا" فهناك تواصل كلما أمكن لجهاز معين وبالأخص جهاز حي أن يؤثر على جهاز آخر بتغيير فعله انطلاقا من تبليغ إرسالية"5.

وبهذا المفهوم، يفيد التواصل كل التأثيرات التي يمارسها نظام على آخر مثل تلك العلاقة التي تنبني على تطبيق أوامر وتعليمات أو ترديد إحداث تغيير في سلوك الآخر. وتعتبر السلوكية من أهم التيارات السيكولسانية التي ركزت على الوظيفة التأثيرية؛ لأن التواصل حسب المنظور السلوكي يرتكز على مفهومي المثير والاستجابة. لذلك يؤثر السلوك اللفظي أو غير اللفظي على المتلقي تأثيرات وجدانية تكون لها انعكاسات إيجابية مثل التعاون والتماثل والاندماج، وانعكاسات سلبية مثل التعارض والصراع والتنافس. ومن ثم، فالعمليات الإيجابية" أقوى أثرا وأبقى من العمليات السلبية، وإلا لما بقيت المجتمعات الإنسانية أو تقدمت نحو الرقي والنهوض، فالصراع والعمليات السالبة عموما مجالها محدود، وكذلك أسلوبها؛ ذلك لأن الحياة تضطر الأفراد بمختلف مصالحهم أو مواقفهم إلى أن يوافقوا أنفسهم بالآخرين وأن يتخلصوا من الصراع إلى الاندماج أو التكيف مع البيئة".

ويقصد بالتواصل الوجداني في مجال البيداغوجيا اكتساب الميول والاتجاهات والقيم وتقدير جهود الآخرين وذلك من خلال تفاعله مع المادة المدروسة واكتسابه الخبرات بأنواعها المباشرة وغير المباشرة. ولقد خصص للمجال الوجداني صنافات بيداغوجية، ومن بين المهتمين بهذا المجال " كراتهول Krathwol الذي خصص صنافة تتكون من خمسة مستويات ذات صلة وثيقة بالمواقف والقيم والاهتمامات والانفعالات والأحاسيس والتوافق والمعتقدات والاتجاهات: فكرية كانت أو خلقية. وهذه المستويات هي:

- التقبل- الاستجابة- الحكم القيمي- التنظيم- التمييز بواسطة قيمة أو بواسطة منظومة من القيم.

ب- التواصل المعرفي: التواصل المعرفي هو الذي يهدف إلى نقل واستقبال المعلومات، وهو تواصل يركز على الجوانب المعرفية ومراقيها، أو بتعبير آخر إنه يركز على الإنتاجية والمردودية. ويهدف هذا التواصل إلى نقل الخبرات والتجارب إلى المتلقي وتعليمه طرائق التركيب والتطبيق والفهم والتحليل والتقويم بصفة عامة. إنه يهدف إلى تزويد المتلقي بالمعرفة والمعلومات الهادفة. ومن ثم، يقوم هذا التواصل على تبادل الآراء ونقل المعارف وتجارب السلف إلى الخلف. ويساهم السلوك اللفظي وغير اللفظي في التواصل المعرفي إذا تم احترام شروط السيكولوجيا التي تحيط بالمتلقي أو يعيشها. فالرفع من الإنتاجية المعرفية لايتم إلا عبر سلوكات لفظية ديموقراطية تعتمد على روح المشاركة واللاتوجيهة والتسيير الذاتي والتفاعل الديناميكي البناء، وعبر سلوكات لفظية وغير لفظية مثل حركات التنظيم والحركات الديداكتيكية وحركات التقويم والتمجيد. وهكذا لايمكن عزل التواصل المعرفي عن التواصل الوجداني إلا من باب المنهجية ليس إلا. وثمة صنافات بيداغوجية في مجال التواصل المعرفي كصنافة بلوم Bloom التي تتمثل في المراقي التالية:

- المعرفة- الفهم- التطبيق- التحليل- التركيب- التقييم.

ث-الجانب الحركي: يمكن الحديث عن التواصل الحركي والحسي الذي يتناول ماهو غير معرفي ووجداني. ويتمظهر هذا التواصل في إطار السبرينطيقا والآلية والمسرح الميمي والرياضة الحركية... ويتضمن هذا التواصل في المجال التربوي" مجموعة متسلسلة من الأهداف تعمل على تنمية المهارات الحركية، واستعمال العضلات والحركات الجسمية."7. ومن أهم صنافات هذا التواصل الحركي نجد صنافة هارو Harrow التي وضعها صاحبها سنة 1972. وتتكون هذه الصنافة من ست مراق أساسية، وهي:

- الحركات الارتكاسية- الحركات الطبيعية الأساسية- الاستعدادات الإدراكية- الصفات البدنية- المهارات الحركية لليد- التواصل غير اللفظي.

التواصل بين الذات والطبيعة :

مذ خُلقَ الإنسان خُلِقت معه حاجته إلى التواصل بسواه من البشر في ثقافته أو في الثقافات الأخرى، ومع تطور انتظامه في الحياة وصراعه مع الطبيعة والكائنات الأخرى، كانت حاجته إلى التواصل(Communication) تنضج بحثاً عن أساليب تيسّر عليه استخدام عقله وتؤتي استجابات كفيلة بإرضاء ما يتوق إليه نفسياً وما تتطلب منه الحياةُ حلَّه عملياً، وقد كانت إيماءاته البدائية وانفعالاته الصوتية هي علاماته اللغوية الأولى فهي «أول ما التجأ إليه الإنسان لتبليغ ما يجول بخاطره، ويسمى ذلك بعلم الحركات، ومقوماتها علامات ودلالات هي تكملة التشكل العضوي للإنسان...»(14)، وعندما اهتدى الإنسان إلى اللغة الشفاهية(الكلام) كلمة بعد أخرى عبر زمن غير معلوم بالتحديد، تمكن من حيازة أكثر أشكال الاتصال فاعلية وطالما وُجِد ذلك الأساس فإن فرعيات أخرى بدأت تنبع منه أو تصب فيه، «وباكتمال المنظومة اللغوية الشفاهية(نسبياً)، تكون الإمكانية الأولى للتعبير الثقافي قد خُلقت بشكلها الأكثر تقدماً. فمن المؤكد أن ظهور اللغة ساعد على انبثاق ظواهر كثيرة لازمت الإنسان وانخراطه في الحياة...». وعليه فإن الإنسانَ محكومٌ بقدَر التواصل مع الطبيعة والآخر من حوله، بحيث لا يمكن تصور حياة بشرية بدونه، بحكم كينونته الأساسية، فلا يستطيع الإنسان إلاَّ أن يتواصل مع مكونات المحيط، لكي يستمر في الوجود، ولربما كانت نهاية التواصل تمثل نهاية حياة الإنسان بالذات... فالتواصل علاقة لا انفكاك منها للإنسان سواء مع العالم الطبيعي أو مع الأفراد والجماعات حتى ولو كانت بعض الجماعات غريبة عنه، ولم يلتقِ أحداً منها أبداً، «لأن التواصل حاجة نفسية ضرورية لابد من إشباعها»(16)، وعليه فالإنسان محكوم بقدر التواصل مع الآخر(الذات، والطبيعة) لأن هذا التواصل هو المسؤول عن إنتاج العلامات التي يحيا في إطارها الإنسان.

خاتمة :

تعد درجة وعي الباث لقصديته ودرجة وعي المتلقي لهذه القصدية معياراً أساسياً في تصنيف الظواهر والتعامل معها باعتبارها علامات أو باعتبارها سلوكاً عرضياً لا معنى له ولا قيمة تواصلية له إذا فُهِم منه أنه غير مقصود. ولأن التواصل إخبار برسالة معينة تحمل معلومة أو أكثر، فهو يستعمل التواصل بغرض الإبلاغ، غير أنه إذا لم تكن هناك نية إبلاغٍ فلا يمكن القول بانعدام المعنى أوالدلالة في التواصل؛ ذلك لأن أية ظاهرة طبيعية على الرغم كونها طبيعية لا تقصد تعمد إبلاغ لمتلقٍ ما، إلاَّ أنهاقد تدل أو تعني لدى المتلقي رسالة ما عرضية قد قصدها باث أو لم يقصدها، وهنا لا يجب الخلط بين قصد الباث والفائدة التأويلية التي حصل عليها المتلقي ففي العادة تتمثل نقطة التواصل بالاتصال مع المتلقي «بيد أن قصد التواصل لا يتماهى بقصد المعنى، أي القصد الذي يجب أن ينطوي فيه المنطوق على شروط الصدق وشروط إشباع أخرى «57، يقوم إجراء هذه الممارسة السيميائية على أساس ترتيبي، فهي لا تفترض أي تقطيع للواقع، بل ولا تفترض حتى إمكانية أن يكون لهذه التمييزات وجود عقلي مستقل. وعليه فإنه بانتفاء العلاقات الملازمة للعلامة والموضوع والمؤول، لا يكون للعلامة أي وجود، على ذلك فإن تمثل العلامات في حياة الإنسان المكوّن الذي يمثل فكره وثقافته وتعتبر المعتقدات والخرافات جزءاً مهماً من هذا الفكر لأنه يشكل مرحلة مهمة من مراحل تطوره الثقافي، وهذه المعتقدات إنما تنشأ من خلال سيرورة التواصل التي يُنشئها مع الكائنات من حوله، إذ تُشكل الطبيعة الآخر الذي تبدأ منه وتنتهي إليه هذه السيرورة التواصلية في محاولة منه لإنتاج علامات جديدة واستجابات تحقق له طموحاً ذاتياً يسعى للوصول إليه، وهكذا هو حال الحكاية الشعبية الخرافية في المعتقد الشعبي العماني، إذ ينشأ هذا التواصل بين الإنسان كونه متلقياً وبين الطبيعة كونها باثاً وإن لم يكن هذا البث قصدياً، ليلج الإنسان في مكنونات هذا التواصل ويندمج في سيرورته من خلال فكره وخياله ومرجعيته الثقافية منتجاً هذا النص الخرافي الذي سيتحول إلى مؤول ثم علامة جديدة وتظل هذه السيرورة في التواصل إلى أن تصل إلى غايتها من خلال الإحالات إلى عناصر وموضوعات مستعيناً بالمرجعيات الثقافية والاجتماعية. وإذن فـ «لا يعمل عنصر ولا يدل ولا يأخذ معنى أو يعطيه إلاَّ بإحالته إلى عنصر آخر ماضٍ أو حاضر في إطار اقتصاد آثار.